الفصل السادس
(حملة العلم)

- أصناف الطلبة :

أولاً : الطلبة غير المنتظمين.

ثانياً : الطلبة الدائمون.

- الأوضاع المالية للطلبة.

- علاقة الطلبة بالعلماء.

- أصناف العلماء :

أولاً : المؤدبون.

ثانياً : العلماء والمدرسون.

- الأوضاع المالية للعلماء.

- علاقة العلماء.

- دور العلماء في ا لمجتمع الإباضي.

- تعليم المرأة الإباضية.

- الكتب التي كان علماء الإباضية يشجعون على دراستها، والكتب التي نهوا عنها

obeikan.com

obeikan.com

من البديهي عند نهاية حديثنا عن الأنظمة التعليمية عند إباضية المغرب الإشارة إلى حملة العلم من طلاب وعلماء لما لهم من دور أساسي في تنشيط الحركة العلمية والفكرية وتطورهما في أي مجتمع كان.

أولا. الطلبة:

لا بد من التفريق بين نوعين من الطلاب:

النوع الأول: طلاب (الصبيان) المرحلة الأولى.

النوع الثاني: طلاب المرحلة العليا.

النوع الأول: الصبيان، فهؤلاء، كما أشرنا في (الفصل المخصص للمراكز العلمية)، ممن يتعلمون على يد الأبوين والمعلم في الكتاتيب، وكان هذا التعليم ضرورياً لمعرفة المبادئ الأساسية من دين وقراءة وكتابة.

ولم يكن في هذه المرحلة من ضرورة أن يواصل الصبي تعليمه في المراحل العليا بعكس المرحلة الأولى، فقد كان أولياء الأمور حريصين على تعليم أولادهم في مرحلة الصبا، وكان الإباضية من أشد الناس حرصاً على مواصلات أبنائهم التعليم، فهذا والد أبو عبيد الله الشكاس حث ابنه على مواصلة التعليم في المرحلة الأولى والثانية[1] وكذلك أم محمد ماكسن بن الخير كانت حريصة على تعلم ابنها التعليم في المرحلة الأولى والثانية[2]. ومن ناحية أخرى، كانت هناك من الأسر التي اشتهرت بالتعليم والعلم، وكانوا يحبون

(١) أبو زكريا: سير الأئمة، ص١٣٤.

(٢) الدرجيني طبقات الإباضية، ورقة٣٦٣"مخطوط".

لأولادهم أن يواصلوا ما هم عليه من مسيرة العلم، ولهذا كثيراً ما نجد في المصادر الإباضية ما تشير إلى بيوت خاصة اشتهرت في فترة الدراسة بالعلم مثل بيت الأئمة الرستميين، وبيت أبي عبيدة الدرفي، وبيت أبي عبدالله محمد بن بكر، وبيت أبي زكريا اليهراساني في "جربة"(١).

النوع الثاني: الطلاب الذين يتلقون علومهم في غير الكتاتيب، ولا ترتبط هذه المرحلة بسن معين، لذا يدخل فيه الراشدون من الصبيان والشباب والكهول "شيوخ".

وقد أشرنا في الفصل المخصص بالأنظمة التعليمية للأماكن الذي يتم فيها التعليم في هذه المرحلة وكل ما يتعلق فيها إن كان من الأهداف والمقررات وأدواتها وأوقاتها والزمن المحدد لها، وهنا سوف نشير إلى أنواع الطلاب هذه المرحلة، وينقسمون إلى فرعين:

الفرع الأول: طلبة عارضون غير المنتظمين

الفرع الثاني: طلبة منتظمون أو دائمون

الفرع الأول: هم الطلبة الذين يحضرون المجالس والحلقات ومنازل العلماء فيتعلم منهم من يتعلم، ومنهم من يريد معرفة أمر من أمور دينه، أو من يريد الوعظ والإرشاد(٢). وقد جاءت روايات بأن كثيراً من نساء الأباضيات يحضرن مجالس الفقهاء بعد صلاة العشاء يسمعنّ منهم(٣).

---

(١) أبو زكريا: سير الأئمة،ص١٦٥، ١٨٤. الدرجيني: طبقات الإباضية، ورقة ٢٨٥ "مخطوط". الشماخي: السير،ج٢،ص٣٠، ص٥١، ٥٢، ٩٢، ٩٣، ١٩٧.

(٢) الوسياني: سير أبو الربيع، ورقة ٢٨ "مخطوط".

(٣) الشماخي: السير،ج١،ص١٨٧، ٢١٠، ج٢ ،ص٦، ١١، ١٢.

هـذا بالإضـافة إلى مجـالس الفتـوى ومجـالس الحكـم ومـا فيهـا مـن أحكـام وخطـب، وقـد جـاءت روايـات عـن عـدد مـن العلـماء بعـد انتهـاء حلقـاتهم ومجالسهم العلمية يقعدون للحكم في قضايا الناس(١).

الفرع الثاني: وهـم الطلاب والتلاميذ الدائمون والمنتظمون، الذين تلقوا العلوم من مشائخهم وعلمائهم وأصبحوا بعد ذلك علماء ومشائخ.

الاختيار والرحلات:

لا بد من الإشارة إلى أن التعليم عند الإباضية كان يقوم على اختيار الطالب لمعلمه في المرحلة العليا، ويمكن أن يأخذ العلم عن أكثر من عالم واحد، وهذا ما هو متعارف عليه عند المسلمين. والرحلات التي اشتهر بها طلاب العلم هي أكبر دليل على حرية الاختيار في طلب العلم.

وكان طلاب العلم يأتون من مناطق متفرقة من المغرب إلى جبل "نفوسة" و"جربة" للتعلم على يد علمائها.

فهذا أبو القاسم يزيد بن مخلد وأبو خزر يغلى بن زلتاف رحلا من الحامة إلى جبل نفوسة للتعلم على يد حسنون بن أيوب(٢)، بعدها ارتحلا إلى "قسطيلية" للتعلم على يد سليمان بن زرقون(٣) وهذا أبو مسور سيجا اليهراساني تعلم في جبل "نفوسة" بعدها ارتحل إلى "جربة" (٤)، وأبناء أبي زكريا فيصل ارتحلوا من

(١)الوسياني: سير أبو الربيع، ورقة ٥٠ "مخطوط". الشماخي:السير، ج٢، ص٣.
(٢) أبو زكريا: سير الأئمة ،ص١٣٦.
(٣) الشماخي: السير،ج٢،ص٣٣، ٣٤.
(٤) أبو زكريا: سير الأئمة،ص١٦٥.

"جربة" إلى المغرب للبحث عن أبي عبد الله محمد بن بكر للتعلم عنده[١]. وكان أبو عبد الله قد تعلم على يد أبي نوح سعيد بن زنغيل ثم ارتحل إلى "جربة" للتعلم عند أبي زكريا فيصل اليهراساني. بعدها توجه إلى القيروان لتعلم اللغة والنحو[٢]، وهذا أبو محمد ويسلان بن يعقوب المزاتي تعلم من أبي القاسم يزيد القران وعلم الأصول[٣]، وهناك رواية: إن تلاميذ موقعة باغاي لم يتعلموا من أبي نوح سوى علم اللغة[٤].

علاقات الطلاب:

تتميز علاقة الطلاب فيما بينهم على وجه العموم بالتعاون والتشارك إذ كانت الظروف المحيطة بالطلاب تساعدهم على تقوية ما بينهم من روابط، فهذا أبو القاسم يزيد بن مخلد وأبو خزر يغلى بن زلتاف كانا يقرآن كتاباً واحداً. فإذا فرغ أبو القاسم من الكتاب أخذ أبو خزر الكتاب وقام بقراءته، إذ كان أبو القاسم إذا فرغ من قراءة كتابه أعطاه لزميله أبو خزر يغلى بن زلتاف[٥].

وكانت الرحلات التي ينظمها العلماء تقوي من تلك الروابط وتزيدها وهي من عادات علماء المسلمين في دار الإسلام [٦] كما هي عادة الإباضية، ولذا

(١) الدرجيني: طبقات الإباضية ، ورقة ١٥٠ "مخطوط".
(٢)الوسياني في: سير أبو الربيع، ورقة ٦٤ "مخطوط". الدرجيني الإباضية ، ورقة ١٥٠ " محظوظ".
(٣) الشماخي: السير،ج٢،ص٥٦.
(٤) أبو زكريا: سير الأئمة،ص١٤٤.
(٥) الدرجيني: طبقات الإباضية ، ورقة١٠٦ "مخطوط".
(٦) ابن جماعة: تذكرة السامع، ص٨٢.

كان علماء الإباضية يحرصون على القيام بها لمعرفتهم بفائدتها ومنها نشر المذهب الإباضي، فهذا ابن زرقون استطاع تحويل منطقة في إفريقية إلى الوهبية بعدما كانوا نكارية. وهذا أبو عبد الله أحمد بن أبي بكر أستطاع نشر المذهب الأباضي بين بني مصعب بعدما كانوا واصلية. وكان غرضه من الرحلات من جانب آخر إراحة خاطره وخواطر طلابه(١).

أما علاقاتهم بأساتذتهم، فهي في مرتبة عالية من الاحترام والتقدير، إذ كان الطلاب النجباء كثيراً ما يلازمون أساتذتهم حتى صاروا علماء، وكان يوصف بعض التلاميذ بأنهم كانوا في صغرهم مع الأشياخ، وأصبحوا شيوخاً(٢).

أحوالهم المالية:

أما الأوضاع المالية للطلبة فهي تشبه إلى حدٍ كبير الأوضاع المالية للعلماء، فقد كان هناك الأغنياء الذين لم تكن أموالهم تعينهم على معيشتهم الخاصة فحسب، بل تعدت لتعم الإنفاق على رفاقهم في العلم، وهذا تجلى بوضوح بعلاقة أبي القاسم يزيد بن مخلد بصاحبه أبي خزر يغلى بن زلتاف(٣).

وكان منهم من يعمل في أعمال يتكسب منها، ولا تشغله تلك الأعمال عن تحصيله العلمي، ومن أبرزهم أفلح بن عبد الوهاب، إذ كان تاجراً قبل أن يتولى الإمامة الرستمية، إذ يروى بأن أباه عبد الوهاب قبل سفره إلى كوكو للتجارة

(١) الدرجيني: طبقات الإباضية ، ورقة٩٩، ١٦٥ "مخطوط".
(٢) الشماخي:السير،ج٢،ص٣٢.
(٣) أبو زكريا: سير الأئمة،ص١٣٦.

سأله عن مسائل في الربا [١]. وهذا أبو ذر ابان بن وسيم كان يعمل عمله في النهار ثم ينزل إلى "درشل" للتعلم. وأيضاً أبو هارون الجلالمي كان يصعد إلى "بغطورة" بعد انتهاء عمله للتعلم. وكذلك أبو يوسف وجدليش كان حين يتعلم يخرط الزيتون[٢]. وهناك نوع آخر، وهم من كانوا مرابطين حول أحد العلماء، وغالباً ما يتولى هؤلاء العلماء الإنفاق عليهم من أموالهم الخاصة، مثل أبي ميتون أحد علماء الإباضية في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، إذ يروى عنه أنه كان كثير المؤنة بتلاميذته[٣]، وأبي القاسم يزيد بن مخلد كان ينفق على طلابه[٤]، وأبي هارون الجلالمي[٥]، وأبي زكريا فيصل بن أبي مسور اليهراساني[٦]، وهناك من العلماء ممن كان الطلاب يغشون منازلهم من أمثال: منزل أبي موسى عيسى بن زرعة، إذ يروى عنه بأنه سخي الكف، تعلم العلم في داره لكثرة من يغشاه من المشائخ ويمكثون عنده. وهذا ابو محمد عبد الله بن مطكود كان يضع مفاتيح خزانته تحت تصرف الطلبة والعلماء، لمن احتاج منهم شيئاً أخذه[٧]. وكان أبو مسور سيجا اليهراساني يصرف عليه من قبل أحد الشيوخ الذي توكل بتعليمه[٨].

---

(١) الوسياني: سير أبو الربيع، ورقة ٤٩ "مخطوط". الدرجيني: طبقات الإباضية ، ورقة ٢٧٣ "مخطوط".

(٢) الشماخي: السير،ج١،ص١٨٥، ٢٣٦، ج٢، ص٢٤.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٢.

(٤) أبو زكريا: سير الأئمة،ص١٣٦.

(٥) الشماخي: السير،١ج،ص٢٣٦.

(٦) الدرجيني: طبقات الإباضية، ورقة٣٠٩، ٣١٠"مخطوط". علي يحيى معمر: الإباضية في موكب التاريخ، ج٣، ص١٠٦، ١٠٧.

(٧) الشماخي: السير،ج٢،ص١٠، ١١، ٣٢.

(٨) أبو زكريا: سير الأئمة،ص١٦٥. الدرجيني: طبقات الإباضية ، ورقة ١٤١ "مخطوط"

أما بالنسبة للموارد الثابتة مثل الحبوس والهبات. فيروى أن بعض علماء الإباضية كانوا يتكلفون بموارد الحلقات العلمية من امثال: أبو صالح جنون بن يمريان، وأبو عبيدة وشق المزاتي[١].

ثانياً: العلماء:

إن للعلماء والمعلمين دوراً مهماً في تربية طلاب العلم، ويظهر ذلك الدور في النتائج التي حصل عليها الطلبة الذين تخرجوا على أيديهم، فكان من أولئك الطلبة الحافظ، والمحدث، والفقيه، والمتكلم، والمناظر، والزاهد، والعابد.

وقبل الحديث عن العلماء، سوف نذكر معلموا الصبيان والمؤدبون لما لهم من فائدة اولية في تعلم الطفل مبادئ القراءة والكتابة، وبعدها سوف نتحدث عن العلماء.

-معلمو الصبيان:

كان هؤلاء المعلمون يقومون بتعليم الصبيان القراءة والكتابة في الكتاتيب قبل انتقالهم للمرحلة العليا، وكانوا معلموا الصبيان على درجة عالية من العلم، وبالتحديد في علم اللغة والقرآن، وقد ظهر هذا الصنف عند المسلمين في دار الإسلام[٢] ومن العلماء الإباضية الذين تعلموا على يد معلمي الصبيان عبد الله الشكاس مؤسس الفرقة الشكاسية[٣]، وأبو محمد ويسلان بن يعقوب المزاتي[٤]. وقد ترجم الشماخي[٥] لأحد علماء الأباضية في النصف الثاني من

(١) الوسياني: سير ابو الربيع، ورقة ١٥٥ "مخطوط". الشماخي: السير، ج٢، ص١٢٧.
(٢) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٨، ص٨٦.
(٣) أبو زكريا:ة سير الأئمة،ص١٣٤.
(٤) الدرجيني: طبقات الإباضية ، ورقة ٣١٤، ٣١٥ "مخطوط".
(٥) الشماخي: السر، ج٢،ص٩.

القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، بأنه مر بمعلم الصبيان عند توجهه إلى "والآلت" -أحد مدن جبل نفوسة-[١]، وهذا يدل على تواجد معلمي الصبيان بالرغم من ندرة المعلومات حولهم.

-المؤدبون لأولاد الخواص:

وهؤلاء كانوا معلمين للصبيان في بداية أمرهم، ثم انتقلوا إلى معلمين للخاصة[٢]، والتأديب مأخوذ من الأدب، وسمي كذلك لأنه يؤدب الناس إلى المحامد، وينهاهم عن المقابح[٣]. وقد وجد هذا الصنف من المؤدبين في دار الإسلام [٤]، كما تواجد عند إباضية المغرب في فترة الدراسة، وعند مجالس العزابة في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي[٥]، ومن أشهر من تأدب على يد المؤدبين عبيد الله الشكاس، وسليمان بن زرقون[٦].

-العلماء والمدرسون:

وهؤلاء هم معلمو التلاميذ في المرحلة العليا، فقد تمتع العلماء والمدرسون الذين يدرسون في المرحلة العليا في تلك الفترة بالتعظيم والتوقير والتبجيل

(١) الوسياني: سير أبو الربيع، ورقة ١٦٠، ١٦١ "مخطوط".

(٢)عبد المنعم محمد كندو: الحياة العلمية في بلاد الشام،ص٢١٤.

(٣) ابن منظور: لسان العرب،ص٢٠٦ مادة "أدب".

(٤)ابن رسته، أبو علي أحمد بن عمر (ت٣٠٠هـ/٩١٢م): الأعلاق النفيسة، م٧، ص١٩٤، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، دار احياء التراث العربي، بيروت- لبنان. القفطي: انباء الرواة،ج٢، ٣١٦، ج٣، ص١٣. الأنباري: نزهة الألباء، ص٦٩. ياقوت الحموي: معجم الأدباء،ج١٣، ص١٦٨.

(٥)الدرجيني: طبقات الإباضية ، ورقة ١٥٨، ١٥٩ "مخطوط". خليفات: النظم الاجتماعية،ص٦٧.

(٦) أبو زكريا: سير الأئمة،ص١٢٨. الدرجيني: طبقات الإباضية ، ورقة٩٨، ١٠٥ "مخطوط".

والاحترام من أئمة الدولة الرستمية والتلاميذ وعامة الناس في المجتمع الإباضي. وقد أثرت المصادر الإباضية التي أطلعنا عليها بذكرهم، إذ كانوا ذوي دور ومكانة في المجتمع الإباضي، وتأثير وإنتاج علمي، ناهيك عن إلمامهم بعلوم مختلفة، والعلماء والمدرسون ينقسمون إلى قسمين:

- قسم لم يتفرغ للتدريس بل كان تدرسيه عارضاً فهو إما أن يكون حاكماً وذا مكانة حتم عليه أن يعلم الناس، ونضع في صدارة هؤلاء أئمة الدولة الرستمية، ومن أشهرهم عبد الوهاب بن رستم(١)، وابنه أفلح(٢)، وسعد بن أبي يونس وإلى قنطرارة، وأبو محمد عبد الله بن الخير(٣)، ومن هذا القسم من لم يكن تعليمه عارضاً ولا كان مشغولاً بالحكم أو القضاء، إلا أنه لم يتفرغ للتدريس، ولم يكن له حلقات دائمة؛ إلا أنه كان يعلم من يريد من الناس إما عن طريق المراسلة، أو بالسؤال، أو بالسفر، وبهذا يأخذ عنهم بصفة فردية، ومن هؤلاء كثيرون، فهذا ابن خلف الذي يعرف بالطيب بن الخبيث بن الطيب، سأل عن مسألة، وهو في سجن أبي منصور النفوسي(٤) وذلك في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، وأبو الفضل الجرامي(٥)، وأبو محمد جمال

(١) أبو زكريا: سير الأئمة، ص٧٦. الشماخي: السير،ج١،ص١٤٠. علي يحيى معمر: الإباضية في موكب التاريخ، ج١،ق١،ص٩٣. محمد عيسى الحريري: البناء السياسي، ص٢٩.
(٢)الوسياني: سير أبو الربيع، ورقة ٤٩ "مخطوط". الشماخي: السير،ج١،ص١٨٤.
(٣) الدرجيني: طبقات الإباضية ، ورقة ٢٨٩ "مخطوط". الشماخي: السير،ج١،ص٢٠٦.
(٤) أبو زكريا: سير الأئمة، ص ١٠٠، ١٠١. الباروني: الأزهار الرياضية،ج٢،ص٣٤١.
(٥) الشماخي: السير،ج١،ص٢٢٠.

المزاتي[١]، وأبو محمد محمد ونتين الوريوري[٢] وذلك في النصف الثاني في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي.

- القسم الثاني من العلماء والمدرسين ممن لهم حلقات علمية ومريدون وأتباع وطلبة يأتون إليهم من كل الجهات والأماكن التي تواجدت بها الإباضية في المغرب باعتبارهم أساتذة وعلماء وتفرغوا للتعليم، ومن هؤلاء أبو الخليل الدركلي، وأبو مرداس مهاصر السدراتي[٣] وهما من علماء النصف الأول من القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، وفي النصف الثاني منه، أبو القاسم سدرات بن الحسن البغطوري، وأبو الفتاح، وأبو محمد الكباوي، وابن كبت[٤]، وحسنون بن أبي أيوب[٥]، وأبو يحيى سليمان بن ماطوس الشروسي[٦]، وأبو معروف ويار بن جواد[٧]، ويعقوب بن أفلح إذ تفرغ للتعليم والتدريس في "وارجلان"[٨].

(١) الدرجيني: طبقات الإباضية، ورقة ٢٩٥- ٢٩٩ "مخطوط". الشماخي: السير، ج١،ص٢٤٥.

(٢) الشماخي: السير ،ج٢، ص٥.

(٣) الدرجيني: طبقات الإباضية، ورقة ٢٥٥، ٢٥٦ "مخطوط". الشماخي: السير،ج١،ص١٨١-١٨٣، ١٨٥.

(٤) الشماخي: السير،ج١،ص٢٠٠، ٢٣٦.

(٥) أبو زكريا: سير الأئمة، ص١٣٦. الدرجيني: طبقات الإباضية، ورقة١٠٦ "مخطوط".

(٦)الدرجيني: طبقات الإباضية، ورقة ١٠٦، ٢٩١، ٢٩٩. الشماخي: السير،ج١،ص٢٣٤، ٢٣٥.

(٧). الدرجيني: طبقات الإباضية ،ورقة ٢٧٩ "مخطوط"

(٨) مصطفى باجو: أبو يعقوب الدرجيني،ص٨٠.

ومن علماء القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، أبو يوسف وجدليش، وعبود الكزيني، وأبو صالح جنون بن يمريان، وأبو القاسم يزيد بن مخلد، وأبو خزر يغلى بن زلتاف، وأبو نوح سعيد بن زنغيل، وأبو صالح أبي بكر بن قاسم اليراسني[١].

الأوضاع المالية للعلماء:

يمكن أن نقسم العلماء حسب أوضاعهم المالية إلى قسمين:

أولاً: الأغنياء

فهؤلاء كانوا غالباً ممن يمتلكون ما يمكنهم من الإنفاق على معيشتهم الخاصة، وهم إما أن يكون من الأسر التي كانت لها مكانتها في المجتمع الإباضي مثل الأسر المعروفة من ذوي المراتب العليا، ومن هؤلاء أبو محمد الدرفي وابنه يحيى إذ كانا حاكمين على جادو، وبالرغم من ذلك فقد كان لمحمد الدرفي أرض يحرثها [٢]، وهناك عدد من العلماء الأغنياء الذين تم ذكرهم دون معرفة وظيفتهم، ومن هؤلاء أبو أيوب الصنوابي، وأبو موسى عيسى بن زرعة، وأبو يعقوب[٣]، وأبو زكريا فيصل بن أبي مسور اليهراساني[٤]. ومن العلماء الأغنياء الذين يمكث عندهم المشائخ والطلبة لعدة أشهر، مما يدل على غنائهم، أبو نوح سعيد بن يخلف[٥].

---

(١) أبو زكريا: سير الأئمة، ص١٣٦. الشماخي: السير،ج٢،ص٢٤، ٢٥، ٣٣-٤١، ٤٥-٤٨.

(٢) الدرجيني: طبقات الإباضية ،ورقة ٢٨٨ "مخطوط".الشماخي: السير، ج١،ص٢٤١، ٢٤٢.

(٣) الشماخي: السير، ج٢،ص١٠، ١١، ٢٢.

(٤) الدرجيني: طبقات الإباضية ، ورقة ٣١٠،٣٠٩"مخطوط". علي يحيى معمر: الإباضية في موكب التاريخ،ج٣،ص١٠٦، ١٠٧.

(٥) الدرجيني: طبقات الإباضية ، ورقة ٣١٢، ٣١٣ "مخطوط".

ثانياً: ممن يعيشون من كسب أيديهم:

وهؤلاء ممن كانوا يعيشو من كسب أيديهم في العمل من زراعة وتجارة، وبالرغم من ذلك فإنها لا تشغلهم عن تحصيلهم للعلم، فكان بعض العلماء يعملون في الأراضي وزراعتها، ومن هؤلاء يعقوب بن أفلح إذ كانت له أرض يحرث فيها[١]،وأبو مرداس مهاصر السدراتي، وأبو هارون الجلالمي كان غراساً للشجر، وأبو الشعثاء عبد الكريم كان يحرث أرضه ثم يزرعها ثم يحصدها. وكان لأبي يعقوب من أهل تدنيت –قرية من قرى نفوسة- أرض، وكان أبو محمد عيسى بن محمد اللموشائي يخدم فدانه بنفسه، وأبو أيوب صنوابي الخطاب[٢]، وكان لمامدملي أرض يحرثها ويحصدها[٣]، وهؤلاء جميعاً من علماء القرن الثالث والنصف الأول من القرن الرابع الهجريين/ التاسع والعاشر الميلاديين.

أما التجارة فقد أخذت نصيبها بشكل كبير عند علماء الإباضية ومن أشهرهم أئمة الدولة الرستمية المعروفون بأنهم يشتغلون بأيديهم، فهذا عبد الوهاب وابنه أفلح أشتغلا بالتجارة[٤]، وأبو عبيدة عبد الحميد الجناوني من أشهر التجار الإباضيين إلى بلاد السودان، فكان يتكلم العربية والبربرية والكانمية[٥]، وفلحون بن إسحاق[٦]، وهذا يدل على أن هناك صلة تجارية بين

---

(١) مصطفى باجو: أبو يعقوب الوارجلاني،ص٢٤.

(٢) الشماخي: السير، ج١،ص١٥٣، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١٩، ٢٤٠، ج٢،ص١٠ ، ٢٤.

(٣) الوسياني: سير أبو الربيع، ورقة١٢ "مخطوط".

(٤) المخطوط نفسه، ورقة ٤٩. الدرجيني: طبقات الإباضية ، ورقة٢٧٣ "مخطوط".

(٥) الشماخي: السير،ج١،ص١٦٠. أحمد إلياس حسن: الإباضية في المغرب العربي،ص٢٨،(د.ط) (د.د) (د.م).

(٦) الوسياني: سير أبو الربيع، ورقة ١٧٥ "مخطوط". محمد ناصر: دور الإباضية ،١٤.

جبل "نفوسة" "وكانم"؛ لأن أهل جبل "نفوسة" كانوا أعلم بالطرق التجارية المؤدية إلى "كانم"[١]. وعبد الحميد الفزاني إذ يصفه الوسياني[٢] بأنه: عالم كبير من علماء أهل الدعوة، وكان في بلاد السودان فهذا يدل على أنه كان تاجراً.

وأبو معروف ويار بن جواد ، وميمون بن محمد أبي عمر، وأبو يحيى أبي القاسم الفرسطائي، وأبو صالح الياجراني ، وأبو موسى هارون بن أبي عمران، وأبو يوسف وجدليش، وأبو القاسم يزيد بن مخلد إذ كان أبوه تاجراً، والأرجح أنه أصبح غنياً من مهنة التجارة، وأبو نوح سعيد بن يخلف[٣]. وأغلب من تم ذكرهم من تجار كانت تجارتهم تتجه نحو غرب السودان، ولهذا كان لهم دور مهم في نشر الإسلام في تلك المناطق، وما يؤكد ذلك ما ذكره ابن بطوطة[٤]حول مملكة مالي التي كانت ضمن مدن غرب السودان، حيث يقول: "بلاد مالي بينها وبين (أبولاتن) مسيرة أربعة وعشرين يوماً للمجد.... وبعد مسيرة عشرة أيام من (أبولاتن) وصلها إلى قرية (زاغري)، وهي قرية كبيرة يسكنها تجار السودان، ويسمون (ونجراته)، ويسكن معهم جماعة من البيضان يذهبون مذهب الإباضية من الخوارج، ويسمون صنغنغو، والسنيون المالكيون من البيض يسمون عندهم توري..."

(١)محمد ناصر: دور الإباضية، ص٣١.

(٢)سير أبو الربيع، ورقة ٧"مخطوط".

(٣)الدرجيني: طبقات الإباضية ، ورقة ٣١٢، ٣١٣ "مخطوط". الشماخي: السير،ج١،ص٢٢٥، ٢٣٢، ج٢،ص٨، ٢٤، ٥٦-٥٨، ١٢٧.

(٤) ابن بطوطة، محمد بن عبد الله الواتي الطنجي (ت٧٧٩هـ/١٣٧٨): الرحلة المسماه تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ص٦٢٢، ٦٦٤،دار التراث، بيروت – لبنان،١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، (د.ط).

إن هذا النص الذي يقدمه ابن بطوطة يدل على قُدم تواجد المذهب الإباضي في غرب السودان، وما يؤكد ذلك أيضاً الفن المعماري في بناء المساجد(١).

علاقة العلماء:

مما لا شك فيه أن العلماء الإباضيين كغيرهم من علماء المسلمين يشكلون جزءاً من المجتمع الذي يعيشون فيه، ونتيجة تميزهم عن غيرهم من الناس أصبحوا يشكلون ثقلاً في المجتمع الإباضي، لهذا لا بد أن يكون لهم علاقات متشعبة، منها علاقاتهم بالأئمة الذين هم في الوقت نفسه علماء، وعلاقاتهم بالناس عن طريق دورهم في قضايا المجتمع، وعلاقاتهم مع بعضهم البعض، ولهذا لا بد من تسليط الضوء على تلك الجوانب لأهميتها وضرورتها.

أولاً: علاقة العلماء بالحكام:

يمكننا أن نقسم العلماء من حيث علاقاتهم بالحكام إلى ثلاثة أقسام:

أ. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

كان القسم الأول من العلماء متفرغين للعلم، عازفين عن المشاركة الأئمة، مجتهدين في تحصيل العلم، وفي الوقت نفسه يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر الذي يعد من الواجبات عند الإباضية(٢)؛ لهذا أهتم به علمائهم، ومن

(١) روبير: أعمال الندوة الدولية،ص١١٤.

(٢)الشماخي: أبو العباس بن سعيد عبد الواحد الشماخي (ت ٩٢٨هـ/١٥٢٢م): مختصر العدل والإنصاف،ص٢١٧، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط-عُمان،١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، (د،ط).

هؤلاء: أبو عبيدة الأعرج [١]، وابن مغطير النفوسي، وأبو الليث الجناوني، وأبو إسحاق الأرشاني [٢]، وسليمان بن زرقون[٣]. ومن العلماء ممن كان له تنافر مع الأئمة محمود بن بكر إذ يروى عنه بأنه كان أخص الناس بأبي اليقظان[٤].

ب. الاندماج مع الأئمة وتولي المناصب:

هناك علماء ممن اندمجوا مع الأئمة وتولوا مناصب عدة وفي مقدمة هؤلاء الولاة والقضاة والوزراء وسنذكر العلماء الذين تولوا هذه المناصب.

أولاً: الولاة:

يزخر التاريخ الإباضي في تلك الفترة بالعديد من العلماء ممن تولوا ولايات مناطق تواجد الإباضية، ومن هؤلاء: عبد الرحمن بن رستم والي "القيروان"، وعمر بن يمكتن والي "سرت"[٥]، وذلك في زمن إمامة أبي الخطاب المعافري التي تعد أول إمامة إباضية في المغرب، وذلك في النصف الأول من القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي. وهذا أبو عبيدة عبد الحميد الجناوني، ووكيل بن دارج، وسلام بن عمر، وسلمة بن قطفة [٦]، في إمامة عبد الوهاب بن رستم.

(١) البرادي: الجواهر المنتقاة، ورقة ١٨٦ "مخطوط". الشماخي: السير، ج١،ص١٩٠، ١٩١.
(٢) الشماخي: السير، ج١،ص١٢٨، ٢٠٦، ٢١١.
(٣) أبو زكريا: سير الأئمة،ص١٢٨ – ١٣٠.
(٤) البرادي: الجواهر المنتقاة، ورقة ١٨٤ "مخطوط". الباروني: الأزهار الرياضية،ج٢،ص٣٠٥.
(٥) الشماخي: السير، ج١،ص١١٨، ١٢٧. علي يحيى معمر: الإباضية في موكب التاريخ،ج٢،ق١،ص٥١
(٦) الشماخي: السير،ج١،ص١٥٦، ١٧٥، ١٧٦.

وأبو يونس وسيم النفوسي ومدمان الهرطلي، وميال بن يوسف،[١] وذلك في إمامة أفلح بن عبد الوهاب في النصف الأول من النصف الأول من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي. وفي النصف الثاني منه، أبو المنصور إلياس النفوسي، في إمامة أبي بكر وأبي اليقظان[٢].

أما بعد سقوط الدولة الرستمية، فقد ولي عدد من العلماء على مناطق تواجد الإباضية، وكان يطلق عليهم بالحكام من أمثال: أبو محمد الدرفي وابنه يحيى علي "جادو"، وأبو زكريا يحيى بن سفيان اللواتي، وأبو زكريا بن أبي عبدالله[٣]، وأبو صالح جنون بن يمريان على "وارجلان"[٤] وأبو محمد جمال المزاتي علي "أريغ"[٥].

ثانياً: الوزارة:

من العلماء الإباضية ممن تولوا الوزارة، وبالتحديد في عهد الدولة الرستمية باعتبارها دولة لها كيانها السياسي، فلهذا لا بد من اكتمال النظم الإدارية لديها ومنها الوزارة، ومن هؤلاء السمح بن الخطاب المعافري، ومزور بن عمران

(١)أبو زكريا: سير الأئمة،ص٩٢. الوسياني: سير أبو الربيع، ورقة ١٤٣ "مخطوط". الشماخي: السير،ج١،ص١٦٨، ١٦٩، ١٧٥.

(٢) اليعقوبي: البلدان،ص١٠١. أبو زكريا: سير الأئمة،ص٩٩. الشماخي: السير،ج١،ص١٩١

(٣)الشماخي: السير، ج١،ص٢٤٢، ٢٤٣، ٢٥٠.ج٢،ص٣٩.

(٤)الوسياني: سير أبو الربيع، ورقة ١٠٢ "مخطوط" مصطفى باجو: أبو يعقوب الوارجلاني،ص٩٦. محمد ناصر: دور الإباضية ،ص١٣.

(٥)الشماخي: السير،ج٢،ص٢٢٩.

وكانا وزيرين لعبد الوهاب بن رستم، وكان يوسف اللواتي وزيراً لأفلح بن عبد الوهاب[١].

ثالثاً: القضاء:

يزخر التاريخ الإباضي في هذه الفترة بالعديد من القضاة، ومن أبرزهم: أبو درار الغدامسي وهو من حملة العلم الخمسة للمغرب[٢]، ومحكم الهواري[٣]، وعمروس بن فتح [٤]، وعبد الله محمد بن عبد الله الشيخ وابنه وذلك في زمن الإمام أبي اليقظان[٥].

وممن جمع بين الحكم والقضاء بعد سقوط الدولة الرستمية أبو محمد عبد الله بن الخير، وأبو يحيى زكريا الأرجاني، وأبو داود سليمان، وأبو عبد الله محمد بن أبي يحيى وغيرهم[٦]. ويعد القضاء محنة لكثير من العلماء وليس منحة، فهذا أبي درار الغدامسي عندما سئل القضاء قال: "أريت إن ابتليت بذلك يا شيخ"[٧] – يقصد أبا عبيدة مسلم بن أبي كريمة–.

---

(١)المصدر نفسه: ج١،ص١٤٤، ١٤٥، ١٧٥. علي يحيى معمر: الإباضية في موكب التاريخ، ج٢،ق٢،ص٤٦.

(٢) البطاشي: غاية المأمول،ج٩،ص٣. علي يحيى معمر: الإباضية في موكب التاريخ،ج٢،ق٢،ص١٣-١٥.

(٣) البرادي: الجواهر المنتقاة، ورقة ١٨٠ "مخطوط". الباروني: الأزهار الرياضية،ج٢،ص٢٦٨، ٢٦٩.

(٤) أبو زكريا: سير الأئمة، ص٩٩. سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي،ج٢،ص٣٩١.

(٥)البرادي: الجوهر المنتقاة، ورقة١٨٢ "مخطوط".

(٦) الشماخي: السير، ج١،ص٢٠٢، ٢٠٧، ٢٤٣. ج٢،ص ١، ١٦، ١٨، ٢٠.

(٧) المصدر نفسه،ج١،ص١٢٧. السيابي: طلقات المعهد، ص٥٩.

أما بالنسبة للأمور الإدارية الأخرى، مثل: الشرطة، وبيت المال، والحسبة فكان يتولاها عدد من العلماء من أمثال عبد الرحمن بن صواب ولي على بيت المال، وزكار وإبراهيم بن مسكين على الشرطة(١). وعدد من علماء نفوسة على الحسبة وذلك في زمن أبي اليقظان(٢).

ج- الاحترام والتقدير بين الحكام والعلماء:

هذا القسم من العلماء ممن تميزت علاقتهم مع الحكام والولاة بالاحترام والتقدير، ومنهم أبو مرداس مهاصر السدراتي وابن مغيطر النفوسي حيث كانت علاقتهما مع عبد الوهاب بن رستم تتسم بالاحترام والتقدير(٣).

ثانياً: علاقة العلماء مع بعضهم البعض:

يمكننا أن نقسم العلماء من حيث علاقاتهم ببعضهم البعض إلى قسمين:

أ- المودة والألفة والصحبة والاحترام:

كانت صلة المودة ولألفة الصحبة والاحترام قائمة وبشكل واسع فهذا عبد الوهاب بالرغم من أنه إمام فإنه يعد من العلماء الإباضية ممن كان له صحبة في كل من البصرة والحجاز وخراسان(٤)، وهذا أبو مرداس بن مهاصر

(١) الشماخي: السير،ج١،ص٢٢٤.

(٢) البرادي: الجواهر المنتقاة، ورقة١٨٢ "مخطوط"..

(٣)الشماخي: السير، ج١،ص١٢٨، ١٥٠، ١٥١.

(٤)الربيع: بن حبيب: رسالة الحجة،ص٦٢. أبو زكريا: سير الأئمة،ص٦٥،٦٤، ٧٦. الشماخي: السير،ج١،ص١٤٤.

لـه صـحبة مـع العديـد مـن العلـماء[١]، وكـان لعمـروس بـن فـتح علاقـة مـودة وصحبة مع بعض العلماء[٢].

وتتجلى صلة المودة والصحبة في توجه كثير من علماء الإباضية لمكة مع بعضهم البعض[٣].

وكان بين أبي القاسم يزيد بن مخلد، وابي خزر يغلى بن زلتاف، وأبي نوح سعيد بن زنغيل علاقة صحبة ومودة وترابط[٤].

ب - النفرة والتخاصم:

كما وجدت علاقة مودة واحترام بين العلماء وجدت علاقة نفرة وتخاصم واختلاف بينهم في بعض المسائل العلمية والفقية[٥]، ولكن مع ذلك وكما يقال، لم يفسد للود قضية، فلم يؤد إلى التباغض والتهاجر والتقاطع، بل بقيت المحبة تربط بينهم، وظل بعضهم يثني على بعض، وساد الحرص على إعطاء حق كل واحد منهم بما هو أهل من العلم والفضل، فمن نماذج ذلك ما حدث بين عمروس بن فتح وأبي مهاصر حول بعض المسائل الفقهية أدى على أثره إلى النفرة بينهما، إلا أنه عندما توفي أبو مهاصر أثنى عليه عمروس بن فتح[٦].

---

(١)الشماخي: السير،ج١،ص١٥٠، ١٥١.

(٢) الوسياني: سير أبو الربيع، ورقة ٣"مخطوط". الشماخي: السير،ج١،ص١٧١. السالمي: اللمعة المرضية،ص٣٥.

(٣) الوسياني: سير أبو الربيع،ورقة٥"مخطوط". الشماخي: السير،ج١،ص١٩٣

(٤)أبو زكريا: سير الأئمة،ص١٣٦-١٤٢.الدرجيني: طبقات الإباضية ،ورقة ١٠٦"مخطوط". الشماخي: السير،ج٢،ص٣٣- ٤١.

(٥)الشماخي: السير، ج١،ص١٤٣، ١٤٤، ٢٣٩، ج٢،ص٥، ٢٩.

(٦)المصدر نفسه، ج١،ص١٩٤.

وهكذا فإن الخلافات بين العلماء كان معظمها علمية بحتة لا أثر لها على العلاقات الشخصية القائمة بينهم على المحبة، وثنى بعضهم على بعض. ولكن بالرغم من ذلك، فقد وجدت بين علماء الإباضية بعض الخصومات والتنافس والحسد وخاصة بين من له رغبة في السلطة، ومن أمثلة ذلك الخصومة بين العلماء المؤيدين لإمامة عبد الوهاب والعلماء المؤيدين لفرج بن نصر، والتي أدت على أثرها إلى الانشقاق الأول بين إباضية المغرب وتأسيس الفرقة النكارية(١).

وحينما عزل عبد الوهاب بن رستم خلف بن سمح المعافري من ولايته على المناطق التي كانت تحت ولاية أبيه وهي طرابلس-ويقصد به اقليم طرابلس بالكامل ما عدا المدينة؛ لأنها كانت تحت سيطرة بني الاغلب، حسب المعاهدة التي قامت بين الأغالبة وعبدالوهاب بن رستم-، أدى ذلك إلى وقوف بعض العلماء إلى جانب عبد الوهاب بن رستم ووقوف بعضهم إلى جانب خلف بن سمح(٢).

علاقة العلماء بطلابهم:

كانت علاقة العلماء بطلابهم تقوم على المحبة والمودة والصحبة والإحترام والتقدير وثناء العلماء على طلابهم، وبالرغم من ذلك فقد وجد بعض العلماء ممن كانوا يبغضون بعض طلابهم ووصل ببعضهم أن حرموا من إعانة علمائهم

(١) الربيع بن حبيب: رسالة الحجة،ص٥٩-٦٦. الدرجيني: طبقات الإباضية ، ورقة ٤٢-٤٥ "مخطوط"

(٢) الشماخي: السير،ج١،ص١٥٧. علي يحيى معمر: الإباضية مذهب،ص٤٧. خليفات: النظم الاجتماعية،ص١٠٣.

لهم؛ وبهذا تكون علاقة المحبة والمودة والاحترام، والنفرة والخصومة قائمة حتى بين العلماء وطلبتهم، ومن أمثلة ذلك: علاقة أبي المنيب محمد بن يانس بتلميذه أبي خليل الدركلي إذ كان يشجع حضوره ويعظمه بعكس أخيه عمر بن يانس، إذ كان يقول أبو منيب إذا أتاه أبو خليل: "تعليم أبي خليل لله وتعليم أخيه عمر ليؤذي المسلمين"(١). وبعد ما أصبح أبو خليل الدركلي عالماً كان يعظم ويتحفز ويتهيأ إذ حضر تليمذه أبو ذرابان بن وسيم، ويحقر ويستخف إذ حضر تلميذه ابن مؤنسه ويقول: "إن إبان يتعلم لله وابن مؤنسة يتعلم ليؤذي به"(٢).

وكانت علاقة ابن كبت أحد علماء الإباضية في النصف الثاني في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، بطالبته أم زكار سيئة حتى أنه توقف عن إعانتها بسبب اختلافه معها حول مسائل فقهية(٣)، إذ كان ابن كبت متمولاً -بخيلاً-.

دور العلماء في المجتمع الإباضي:

أشرنا من قبل إلى أن العلماء في أي مجتمع يشكلون ثقلاً في مجتمعاتهم، وبهذا يكونون في صدارة الأحداث والقضايا التي تعني المجتمع، ومنها توليتهم في المناصب الإدارية، وهنا سنتناول دور العلماء الإباضية في نشر الدعوة الإباضية والوقوف ضد المعتدين عليهم ودورهم في إمامة المساجد والأذان بها.

(١) الشماخي: السير،ج١،ص١٤٨.
(٢) الدرجيني: طبقات الإباضية ،ورقة ٢٥٧ "مخطوط". الشماخي: السير،ج١،ص١٨٧.
(٣) الشماخي: السير، ج١،ص٢٠٣.

أولاً: نشر الدعوة الإباضية:

كان لدخول الدعوة الإباضية إلى المغرب العربي شأن في ظهور حركة علمية وانتشار الدعوة الإباضية.

ولذلك زخرت المصادر الإباضية بعلماء قاموا بنشر الدعوة وتعليم الناس، وأكثرهم العلماء الذي كانت قبائلهم منتشرة في المغرب، لهذا نلاحظ كثيراً من الرحلات التي يقوم بها عدد من العلماء مع تلاميذهم، ومن تلك الرحلات رحلة أبي الربيع سليمان بن هارون[١]، ورحلة أبناء أبي مسور، إذ كان لهم دور في دعم أحد علماء الإباضية في جبل "تمولست" للحفاظ على المذهب الإباضي فيه[٢].

وهذا أبو القاسم يزيد بن مخلد وأبو خزر يغلى بن زلتاف لهما دور في نشر الدعوة الإباضية في "الحامة"[٣]، وأيضاً سليمان بن زرقون أعاد منطقة في إفريقية من النكارية إلى الوهبية الإباضية، وكذلك أبو عبد الله محمد بن بكر نشر الدعوة الإباضية في منطقة "بني مصعب" وكانوا واصلية[٤].

---

(١) الشماخي: السير،ج١،ص٢٥٢. علي يحيى معمر: الإباضية في موكب التاريخ،ج٢،ق٢،ص٦٣.

(٢) أبو زكريا: سير الأئمة،ص١٧٣.

(٣) الشماخي: السير،ج٢،ص١٠٣.

(٤) أبو زكريا: سير الأئمة،ص١٢٩، ١٧٥. الدرجيني: طبقات الإباضية، ورقة ١٦٥ "مخطوط".

ثانياً: الوقوف ضد المعتدين:

تعددت المواقع التي شاركت فيها الإباضية وعلماؤها للحفاظ على المذهب الإباضي، وكانت ترى من هذه المواقع أنه جهاد في سبيل الله ضد المعتدين والظالمين والخارجين عن الشريعة الإسلامية، ومن أهم تلك المواقع:

موقعة مانو:

تعد موقعة مانو التي حدثت سنة ٢٨٣هـ/٨٩٦م من أهم أسباب اضمحلال جبل نفوسة كقوة مساندة لإباضية "تاهرت" وإمامتها، لهذا السبب يقال: "قام هذا الدين بسيوف نفوسة ومال مزاته"(١).

أسبابها:

تعددت أسباب موقعة مانو فمنهم من يقول إن للخلافة العباسية في بغداد دوراً في تحريض إبراهيم بن أحمد الأغلبي ضد إباضية طرابلس(٢)، أو رغبة إبراهيم الأغلبي أن يكسب رضا الخلافة عنه بعد سخطها عليه إثر أعمال العنف والقسوة التي قام بها ضد رعاياه، وفي إقليمي تونس وطرابلس، أو تكون أعمال القهر التي تعرض لها الإباضية من هوارة في أقاليم الزاب وطرابلس هي السبب في قيام نفوسة على الأغالبة في إقليم طرابلس(٣)، ويقال: أن سبب توجه إبراهيم بن أحمد الأغلبي من رقادة هو الطلب في أثر ابنه أحمد نحو طرابلس لمحاربة ابن طولون، حيث

(١) أبو زكريا: سير الأئمة، ص١٠٣. الدرجيني: طبقات الإباضية، ورقة٧٦ "مخطوط". الشماخي: السير، ج٢، ص٢٢٦.

(٢) أبو زكريا: سير الأئمة، ص١٠٣.

(٣) المصدر نفسه، ص١٠٤، ١٠٥. الدرجيني: طبقات الإباضية، ورقة ٧٧ "مخطوط". الباروني: الأزهار الرياضية، ج٢، ص٣٤٤، ٣٤٥.

اعترضته قبائل نفوسة فيما بين قابس وطرابلس لمنعه، لأن المناطق بين طرابلس والجبل مملوءة بالسكان، وعامرة بالقرى، وكانوا هؤلاء كلهم من الإباضية، ولهذا لما سمعت نفوسة في الجبل بعزم ابن الأغلب على محاربة ابن طولون في أراضيهم أرادوا منعه من المرور، بينما قرر ابن الأغلب الجواز على ساحل البحر دون أن يتعرض لنفوسة إذا تركوه [١] ورأى علماء نفوسة مثل سعد بن أبي يونس أن يسمحوا للأغالبة بالمرور، ولكن أكثر النفوسيين رفضوا ذلك، بل وعير بعضهم سعدا بالجبن والخوف من القتل. وكان رد سعد بن أبي يونس بقوله بعبارته المشهورة: "خفت أن تذبح البقرة فيتبعها عجلها"، ويقصد بالبقرة نفوسة، وبالعجل قنطرارة [٢] –بلده–، وهكذا اعترضت نفوسة قوات الأغالبة في منطقة مانو، وهو قصر على ساحل البحر، فالتحم الجيشان، وحدث قتال شديد بينهما أدى إلى هزيمة إباضية نفوسة، وتدل قائمة الخسائر في صفوف الإباضية على الكارثة الحقيقية التي تعرض لها إباضية نفوسة وحلفاؤهم من قبائل إقليم طرابلس، فقد بلغ عدد القتلى أثني عشر ألف، منهم أربعة ألف من نفوسة، وثمانية ألف ممن كان معهم من البربر وغيرهم–وهذا العدد مبالغ فيه–، إلى جانب سبي بعض نسائهم اللاتي كن خرجن معهم، وكان الأخطر من ذلك كله قتل أربعمائة عالم وفقيه، ومن أشهرهم عمروس ابن فتح الذي كان له قضاء جبل "نفوسة" منذ ولاية أبي منصور إلياس ويروى أنه بعد هذه الهزيمة لم يبق من علماء نفوسة إلا أبو القاسم البغطوري وعبد الله بن الخير اللذان بقيا يفتيان لأهل الجبل بنوازلهم من تلك الواقعة،

(١) الدرجيني: طبقات الإباضية، ورقة٧٧ "مخطوط". سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي،ج٢،ص٣٨٨.

(٢) الدرجيني: طبقات الإباضية، ورقة ٧٧ "مخطوط". الباروني: الأزهار الرياضية،ج٢،ص٣٤٣، ٣٤٤.

ولولاهما لعطلت الفتوى إلى يوم القيامة على حد قول الإباضية[١]. ولم يكتفِ أحمد بن ابراهيم الأغلبي بما وقع في مانو، فقد سار إلى قنطرارة فنزل عليهم عند طلوع الفجر، فقتلهم واختار من فقهائهم وعلمائهم ثمانين عالما، فشد وثاقهم ورحل بهم إلى القيروان[٢].

موقعة باغاي:

تعد موقعة "باغاي" التي حدثت سنة ٣٥٨هـ/ ٨٩٤م، آخر ظهور عسكري لإباضية المغرب، فبعدها عادت الإباضية إلى طور السرية والكتمان والتقية [٣] ، أو ما يطلق بنظام الولاية والبراء إذ عقدت ما تسمى عند الإباضية الولاية على الظهور[٤].

أسبابها:

يعد السبب الرئيسي لموقعة "باغاي" مقتل أبي القاسم يزيد بن مخلد على يد الفاطميين، وذلك بسبب نشاطه وقوة تأثيره في لم شعث الجماعات الإباضية وتشجيعها على التمسك بالمذهب الإباضي، وكان لعمله صدى واسع بين إباضية المغرب فتخوف المعز لدين الله أبي تميم الفاطمي منه، فأمر بقتله، كما سجن تلميذه وزميله أبا محمد ويسلان بن يعقوب المزاتي، فصعق الإباضية لمقتل شيخهم أبي القاسم، وقرروا الثورة ضد الفاطميين بزعامة أبي خزر يغلى بن زلتاف، وأبي نوح سيعد بن زنغيل، وقد عمل أبي خزرعلى مراسلة جميع

(١) أبو زكريا: سير الأئمة، ص١٠٤، ١٠٥. الدرجيني: طبقات الإباضية ، ورقة ٧٧ "مخطوط". الباروني: الأزهار الرياضية، ج٢، ص٣٤٤، ٣٤٥.

(٢) أبو زكريا: سير الأئمة، ص١٠٥.

(٣) خليفيات: دراسات في النظم والعقائد الإباضية ،ص٢٠٥.

(٤)أبو زكريا: سير الأئمة، ص١٤٣. الدرجيني: طبقات الإباضية ، ورقة ١١٤ "مخطوط".

إباضية المغرب في جبل نفوسة ووارجلان وأريغ والزاب لاستنفارهم، وكاتب أبو نوح بني أمية في الأندلس لمساعدتهم[١] بحكم العلاقات التي كانت بينهم وبين بني أمية في الأندلس منذ أيام الدولة الرستمية[٢]، فسمع بهذا المعز لدين الله، فوجه إليهم العساكر لمحاربتهم والقضاء عليهم، وتمكن الجيش الفاطمي من هزيمة الإباضية في منطقة باغاي[٣]، فهرب أبو خزر وأبو نوح ثم أمنهما المعز، وارتحل أبو خزر مع المعز لدين الله الفاطمي إلى القاهرة، بينما بقي أبو نوح في القيروان ثم ارتحل إلى وارجلان[٤].

ومن نتائج موقعة باغاي قتل عدد كبير من علماء الإباضية منهم: عبود الكزيني وعدد من تلامذة أبي خزر يغلى بن زلتاف الذين شاركوا في الموقعة[٥].

ثالثاً: في إمامة المساجد والأذان بها:

من ضمن مشاركات العلماء في المجتمع الإباضي إمامة المساجد والأذان بها. وكانت إمامة المساجد عند إباضية المغرب تقوم على معايير معينة للإمامة، وقد ذكرها كلاً من الوسياني[٦] والشماخي[٧] بقولهما: "كان أهل الجبل لا

(١) المخطوط نفسه، ورقة ١١٣.

(٢) ابن سعيد، عبد الملك بن سعيد المغربي الأندلسي (ت٥٦٢هـ/١١٦٦م): المغرب في حلى المغرب، ص٤٨، تحقيق/شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة- مصر، ط٢، (د.ت).

(٣) أبو زكريا: سير الأئمة، ص١٤٣. ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٥٩٨، ٥٩٩. الشماخي: السير، ج٢، ص٣٦.

(٤) خليفات: النظم الاجتماعية، ص٣٢.

(٥) أبو زكريا: سير الأئمة، ص١٤٣. الدرجيني: طبقات الإباضية، ورقة ١٤٤ "مخطوط". الشماخي: السير، ج٢، ص٣٧، ٤٥.

(٦) سير أبو الربيع، ورقة ١٣ "مخطوط".

(٧) السير، ج١، ص٢٠٢.

يُقَدَّمون للصلاة إلا التقي الأسن العالم"، والدليل على ذلك تقديم الإمامة الصلاة لأبي عبد الله محمد بن جلداسين بحضور أفلح بن عبد الوهاب[١]، وذلك في النصف الأول من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي. ومن أشهر أئمة المساجد أئمة الدولة الرستمية[٢]

وما يلاحظ أنه عند إباضية المغرب لم يكن هناك عالم محدد يقوم بالإمامة في مسجد معين، بل كان العلماء يسعون في تأدية الإمامة في المساجد التي يدركونها، فهذا أبو محمد عبد الله بن مطكود كان لا يستأذن أهل المسجد على الإمامة، فكل مسجد أدركته فيه الصلاة قام بالإمامة[٣]، وكان أبو إسحاق الأرشاني ممن ضمن لأهل أشارن الصلاة والأذان، ومن أشهر أئمة المساجد عبد الله محمد بن جلداسين، وأبو محمد عبد الله بن الخير[٤]. وسعد بن أبي يونس بن وسيم[٥]

أما الأذان فكان الإباضية مثلهم مثل بقية المسلمين في دار الإسلام يستحبون أن يؤذن الطفل[٦] فهذا لواب بن سلام كان يؤذن، وهو صغير[٧]، وظهر عدد من العلماء ممن كانوا يؤذنون من أمثال: أبو إسحاق الأرشاني، وأبو محمد عبد الله مطكود[٨].

---

(١) المصدر نفسه،ج١،ص٢٥١.
(٢) سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج٢، ص٣٠٥، ٣٠٦.
(٣) الشماخي: السير،ج٢،ص٣٢.
(٤) المصدر نفسه، ج١،ص٢٠٢، ٢١١، ٢٥١
(٥) سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج٢، ص٣٥١.
(٦) الشيرازي: نهاية الرتبة،ص١١١.
(٧) الشماخي: السير،ج١،ص٢٠٨.
(٨) المصدر نفسه ،ج١،ص٢١١.ج٢،ص٣١، ٣٢.

تعليم المرأة ودورها العلمي

وكما كان للعلماء الإباضية دورهم في تنشيط الحياة العلمية عن طريق الحلقات والمجالس العلمية، التي كانت تعقد في أماكن تلقي العلم، وتضم العديد من المعلمين والمتعلمين على السواء من الرجال والنساء، فقد كان للنساء الإباضيات نصيب من ذلك، حيث ذكرت المصادر الإباضية التي اطلعنا عليها اشتراك النساء في تلك الحلقات ومجالس العلم. وهذا لا يعني أنه يوجد اختلاط بين الرجال والنساء أثناء ذلك بالرغم من وجود مجادلات علمية بين العالمات والعلماء في مجالس العلم، إذ يروى أنه: "من عادة نفوسة أن يجعلوا سترة على الصف الأخير من المسجد وذلك في جميع مساجدهم حجاباً"(١). وهذه العادة عرفتها دار الإسلام إذ يروى أنهم لا يدعون الرجال يختلطون بالنساء، ويجعل بينهم ستارة وذلك في المجالس(٢).

ومن أشهر النساء الإباضيات ممن تعلمن الغاية أخت عبد الوهاب بن رستم إذ يروى أنه بات معها يتعلمان مسائل الفرائض(٣)، وأخت عمرو س بن فتح إذ يعود لها الفضل في الحفاظ على مدونة أبي غانم الخرساني ومعاونة أخيها على تدوينها(٤) وقد وصفها أبو زكريا(٥) بأنها: عالمة فقيهة، وكانت أخت أفلح بن عبد الوهاب عالمة بعلم الفلك(٦).

---

(١) المصدر نفسه، ج٢،ص١٧٩.

(٢) الشيرازي: نهاية الرتبة،ص١١٠.

(٣) الشماخي:،ج١،ص١٤٢.

(٤) الوسياني: سير أبو الربيع، ورقة ٣،"مخطوط".

(٥) سير الأئمة،ص١٠٤.

(٦) سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج٢،ص٥٢٦.

وممن كن يحضرن مجالس العلم في تلك الفترة أخت عمروس بن فتح، وذلك في مجلس سدرات بن إبراهيم المسكاني[١]، وأم أبي ميمون وذلك في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي[٢]، وأم ماطوس واسمها العافية، وكانت تحضر كثيراً مجالس العلماء، ومنها مجلس أبي محمد الخصيب التمصيصي،[٣] ومن النساء العالمات اللائي كن يحضرن المجالس أم داؤود، وأسية، ورحيل، وأم زيد[٤].

وكان بعضهن يحضرن مع أولادهن مجالس العلم مثل مجلس أبي الشعثاء عبدالكريم إذ يروى عن مجلسه بأن النساء يحضرن مجلسه ليلاً مع اولادهن، ومجلس أبي حسان خيران بن ملال الفرسطائي إذ يروى بأنه يحضر مجالسه العجائز والنساء وكان يشدد في لباس الوقاية عليهن[٥].

يضاف إلى ذلك أنه كان للعالمات الأباضيات دور مهم في تنشيط الحركة العلمية، وذلك عن طريق إقامة مجالس العلم في بيوتهن، من أمثال: منزل بهلولة زوجة أبي ذرابان بن وسيم الويغوي، إذ كان منزلها تغشاه النساء للتعلم قبل زواجها، ومنزل أم جلدين زوجة أبي الفضل الجرامي، وأم يحيى زوجة أبي ميمون إذ كان منزلها يجتمع فيه المشائخ ليلة الجمعة، وكذلك منزل أم الربيع الوريورية في النصف الأول من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي[٦].

---

(١) الشماخي: السير، ج١ ص١٩٦.
(٢) الوسياني: سير أبو الربيع، ورقة١٦ "مخطوط"
(٣) الشماخي: السير، ج٢، ص١١.
(٤) أبو زكريا: سير الأئمة، ص١٦١. الشماخي: السير:ج١، ص٢١٦، ج٢، ص٢، ٢١.
(٥) الشماخي: السير،ج١، ص٢١٠، ج٢، ص٦.
(٦) المصدر نفسه،ج١،ص١٨٦، ١٩٩، ٢٢١،ج٢،ص٦.

وإضافةً إلى ذلك أن النساء الأباضيات كنّ يشاركن في الأسئلة والمناقشات العلمية، التي تحدث في تلك المجالس، واستقلن بآرائهن حتى أنه يؤخذ بها. فهذه ابنة ابي مسور يصليتين النفوسي أحد علماء الإباضية في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي سألته بمسألة فقهية، فقال لها أبوها: " ألا تستحي؟ قالت: أخشى إن استحيت منك أن يمقتني الله يوم القيامة، فانتبه "(١)، وهذه أم زكار إحدى العالمات في النصف الثاني في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي بسبب نقدها لأحد علماء الإباضية، وهو أبو كبت- أبو كبة - حرمت من أعانته(٢) .

بالإضافة إلى التعلم فقد كان هناك من العالمات ممن يعلمن من أمثال أم يحيى، وممن تعلمن عندها شاكرة الرعرارية من أهل أنرة- قرية من قرى نفوسة -، وكذلك أم زعزرو(٣).

وكان البعض منهن عالمات بمسائل الفقه ويفتين فيها، وتلتزم مجموعة من العلماء بفتواهن، ويطلق عليهن بالفقيهات من أمثال: أم زعرور(٤).

وكما كانت الغاية – احدى العالمات الإباضيات- تتحاور مع العلماء في مسائل الإفتاء، فتسألهم، ويسألونها(٥). كما كان لهن دور في الوعظ والإرشاد

(١) الوسياني: سير أبو الربيع، ورقة،١٧ "مخطوط".

(٢) أبو عجيلة، ناجية الوريمي: الإسلام الخارجي، ص٢٣٧،ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٦م دار الطليعة، بيروت –لبنان..

(٣) الشماخي، السير،ج١،ص١٩٩، ٢٢١.

(٤) أبو عجيلة : الإسلام، ص٢٣٩.

(٥) الدرجيني: طبقات الإباضية ، ورقة٣٤٦"مخطوط".

والحث على الجهاد، ولهذا كان لهن دور فعال في المجتمع الأباضي من أمثال: أخت عمروس بن فتح في موقعة مانو سنة٢٨٣هـ/٨٩٦م[١]. وأيضاً زيديديت بنت عبد الله في الوعظ والإرشاد[٢]. وكذلك كان لغزالة زوجة أبي اليقطان دوراً تولية إبنها أبي الحاتم يوسف لولاية العهد[٣].

ومن جانب آخر فقد أولى أئمة الدولة الرستمية وعلماء الإباضية في تلك الفترة اهتماماً بتعليم الإماء والعبيد[٤] إذ يروى عن الأئمة الرستميين قولهم: " حاشا الله أن تكون عندنا أمةً لا تعلم منزلة يبيت فيها القمر "[٥] وكان الإماء والعبيد يتعلمون جميع العلوم ومن ضمنها علم الفلك ويحضرون مجالس الذكر ويتذاكرون الكتب[٦].

الكتب التي كان علماء الإباضية يشجعون على دراستها، والكتب التي نهوا عنها

كان علماء الإباضية في فترة الدراسة يهتمون بدراسة الكتب ويشجعون على قراءتها، فيروى عن أبي عبد الله محمد بن بكر قوله: «من يدرس الكتب أفضل

(١) أبو زكريا: سير الأئمة ،ص١٠٤.
(٢) الشماخي: السير،ج٢،ص١١.
(٣) الباروني: الأزهار الرياضية،ج٢،ص٣٥٢.
(٤) محمد دبوز: تاريخ المغرب الكبير، ج٣، ص٣٧٩.
(٥)أبو زكريا: سير الأئمة، ص٦٥. الدرجيني: طبقات الإباضية ، ورقة ٤٩ "مخطوط". الشماخي: السير، ج١، ص١٦٧.
(٦) الوسياني: سير ابو الربيع، ورقة ٢٢، ٢٣ "مخطوط". الشماخي: السير، ج١، ص١٨٧، ج٢، ص١٨٧.

ممن يقرأ عند خمسة علماء»[١] لهذا وجد عدد من الكتب الذي اهتم الإباضية التشجيع على دراستها، ومنها:

- كتاب أبي سفيان محبوب بن رحيل وعهده[٢] ومختصره في الفقه[٣] وكتاب ابن محمد بن محبوب بن رحيل، ويذكر أنه في سبعين جزءاً[٤].

- كتاب اللقط في الفقه[٥].

- الكتاب المعروف بمدونة أبي غانم الخراساني[٦]، الذي كان يعتمد عليه في الفقه منذ إحراق مكتبة المعصومة على يد الفاطميين[٧] حتى أواخر القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، لأنه ألف ديوان الأشياخ وغيرها من مؤلفات الفقهية[٨].

وهناك خمسمائة كتاب تعلمها أبو إسماعيل البصير إبراهيم بن ملال المزاتي في توزر[٩] ومسند أبو عمرو الربيع بن حبيب[١] الذي يعرف بكتاب الترتيب

(١)الشماخي: السير ، ج٢، ص ٦٥.
(٢) البرادي: رسالة في كتب الإباضية ، ص ٥٦.
(٣) الوسياني: سير أبو الربيع، ورقة ٣١ "مخطوط".
(٤) السالمي: اللمعة المرضية، ص٢٤.
(٥) الشماخي: السير، ج٢، ص ٦٥.
(٦) وهو كتاب مطبوع ومحقق، وأحد مصادر هذه الدراسة، وقد أوردنا معلومات النشر الخاصة به في الفصل الأول من الدراسة.
(٧) أبو زكريا: سير الأئمة،ص١١٢، ١١٣.
(٨)الدرجيني: طبقات الإباضية ، ورقة٢٧٧- ٢٧٨ "مخطوط".
(٩) الوسياني: سير أبو الربيع، ورقة ٥٧ "مخطوط".

في علم الحديث[٢] وهو عبارة عن ثلاثة أجزاء، أضيف الجزء الرابع في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، إذ كان أفلح بن عبد الوهاب يشجع على دراسته ودراسة كتب أهل الدعوة[٣].

ومن ناحية أخرى هناك كتب منع الإباضيون من دراستها وحتى قراءتها، وكان الإباضية الوهبية يحذرون من مجالسة أهل الخلاف أو دراسة كتبهم[٤] حتى أنهم يخرجونهم للخطة[٥]؛ وذلك خوفاً من خروجهم عن المذهب الإباضي وتأثرهم بالمذاهب الأخرى، منها:

- كتاب أحمد بن الحسين وكان إباضياً وهبياً بعدها أصبح من أهل الخلاف، وكتابه في الفقه، إذ يروي عن أبي يوسف يعقوب بن أفلح آخر الأئمة الرسمتين أنه كان يحذر ابنه سليمان من قراءته ودراسته، وهذا ما أدى إلى خروجه عن المذهب الوهبي وتأسيسه فرقة خارجة عن المذهب الإباضي الوهبي وهي الفرقة السليمانية[٦].

- كتاب الشيطان، ونرجح أنه كتاب قفيز العلم "ويشتمل على مسائل في فروع الملتقطات فيها ما هو متروك، وفيه ما فيه شنعة وسماجة،

(١) البرادي: الجواهر المنتقاة ورقة ١٧٧ "مخطوط.

(٢) وهو كتاب مطبوع ومحقق، وأحد مصادر هذه الدراسة، وقد أوردنا معلومات النشر الخاصة به في الفصل الأول من الدراسة. وتوجد منه نسخة في الخزانة البارونية في جزيرة جربة برقم (٢٢). .com.علم الفكر الإباضي.www

(٣) البرادي، رسالة في كتب الإباضية ، ص ٥٦.

(٤) الوسياني: سير أبو الربيع، ورقة ١٣٨ "مخطوط".

(٥)الشماخي: السير، ج٢ ص ١٠٦.

(٦) الدرجيني: طبقات الإباضية ، ورقة ٩٤-٩٦ "مخطوط".

وقد نهي عن قراءته من علماء الإباضية، ويحجرون من يفتي منه مسألة "[١]، وسبب ترجيحنا أنه كتاب قفيز العلم الذي أطلق عليه أبو محمد ويسلان بن أبي بكر بقفيز البلاء، أنه روى عنه قوله: "حكى له طالب مسألة من كتاب، قال له: اجتنب ذلك الكتاب، وإلا حال بينك وبين دينك، وآخر حكى له من كتاب، قال: اغسله في النهر، وآخر حكى له عن قفيز العلم اسم الكتاب فقال: قفيز البلاء"[٢].

- كتاب الأشراف[٣] لأبي بكر محمد بن إبراهيم المشهور بابن المنذر النيسابوري (ت٣١٧هـ/٩٣١م) جمع فيه مذاهب الأمة، وتعقبه ابن سعيد الكدمي من علماء إباضية عُمان في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، في كل مسألة ذكرها، فصحح وضعف وقرب[٤].

نستنتج مما سبق أن لحملة العلم من طلاب ومعلمين، دور كبير في تنشيط الحركة العلمية، بالإضافة إلى دورهم في نشر المذهب الإباضي والمحافظة عليه وذلك عن طريق ما تم ذكره، إلا إن هناك عامل آخر ساعد على ذلك ألا وهو العلوم التي يجب تدريسها والقاءها للطلاب. والكتب التي يجب تدريسها، وهذا ما سنلاحظه في الفصل السابع.

(١) البرادي: رسالة في كتب الإباضية ، ص ٧٠.
(٢)الشماخي: السير، ج٢، ص ٥٤، ٥٥.
(٣) الوسياني، سير أبو الربيع، ورقة ٤٣ "مخطوط".
(٤) السالمي: اللعمة المرضية،ص٢٩.

obeikan.com